الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي

(1285-1372هـ/1858-1952م)

ودوره في التربية والثقافة

أ.د/ مختار بوعناني

جامعة وهران–الجزائر

الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي

(1285-1372هـ/1858-1952م)

حياته وتعليمه

نسبه : هو أبو عبد الله بن عبد القادر بن محمد البوعبدلي يرجع أصل أسرته إلى الجد الأكبر المدعو أبو عبد الله المغوفل (ت **924هـ**)دفين الشلف،شرق مدينة وادي ارهيو بالجمهورية الجزائرية.

ولادته : ولد عام 1285هـ الموافق لعام 1858م من أبوين مؤمنين في دوار "سودِّين" – بمكان يدعى دار بن صالح – عرش بني حلاد قرب قرية (هنين) ، وهو مرفأ مشهور ، كان عاصمة عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي (ت 558ه،/1183م)، التابع لبلدية ندرومة آنذاك ، و"سودِّين " الآن تابعة لبلدية بني خلاد –ولاية تلمسان حاليا ، و"سودين " تقع في سفح جبل سيدي سفيان من جهة الجنوب وهو تابع لسلسلة جبال (ترارة).

حفظه للقرآن الكريم :

تلقى مبادئ القراءة والكتابة في قريته ، ثم بعثه أبوه الشيخ عبد القادر رحمه الله إلى القرى المجاورة لحفظ القرآن الكريم ومن بينها :

– قرية أولاد البوعناني ، ليتعلم على يد الفقيه الشيخ المختار البوعناني ، وقد ختم القرآن عنده .

المراجع

1– د/عبد القادر فيدوح ، دلائلية النص الأدبي ، دراسة سيميائية للشعر الجزائري .

2–أحمد يوسف ،بين الخطاب والنص ،مجلة تحليات الحداثة ، معهد الآداب واللغة،جامعة وهران ، ديوان المطبوعات الجامعية،وهران ،ع1 ، سنة :1 ، 1992 ، ص :53

3-Chrestian du boix :Des outils pour l'analyse littéraire le français dans le monde 07 1992 p 64

4- Philippe Lane la peripheri edu texte nathan paris 1992 P 75 interactionisme 5- Jean Paul Branckart,`` Activite langagiere, Texetes et discours , pour un socio-discursif, de la chaux et niestle. Paris 1996, P 83-84 .

- قرى "ولـــهاصة".

- كما أنه قرأ في الغزوات (سواحل) ، على الشيخ لخضر الخبشي.

وأخبرنا ابنه ووارث سره الشيخ عياض أن الأب ـرحمه الله ـ كان يتوقف طويلا بأمر عائلته بذلك عندما يمر بجانب قرية أولاد البوعناني ، وهم في طريقهم إلى أهلهم بقرية ، أو عند أتباع الطريقة ليسترجع الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي ذكريات هذه القرية وهو في سن الشباب .

وقرى عرش "ولهاصة" المحاذي لعرش بني خلاد ، والمشهور بإيواء حفظـــة القرآن ، وبكثرة حفاظ أبنائها للقرآن الكريم إلى اليوم .

لقد قص علينا الشيخ أمْحمَّد بن داود أنه صحب الشيخ مع مـــن صحبه لزيارة أهل "ولهاصة" في إحدى زيارته لها وعندما قربوا مـــن قريـــة اليعقوبيين بـــ"ولهاصة" أمر "المقدَّم "بأ، يطوي دفتره ، وما فيه من تعليمـــات سجلها "المقدّم " خاصة بتحركات الشيخ ، وأمر الحضور بما فيهم الشـــيخ أمحمَّد بن داود ـأطال الله عمره ـ أنهم من الآن في حرمة أناس أصحـــاب علم وكرم وأخلاق وشهامة وغيرة على الدين ، وحفظة القـــرآن الكـــريم يحترمون الضيف ويوفرون له كل الراحة ، اللازمة ولا يشعر بالغربة عندهـــم فنحن في حرمتهم يتصرفون كيف ما شاؤوا دون أن نتدخل في شيئ ما دمنا في منازلهم حتى نخرج من عرشهم ، وأمر الشيخ "المقدَّم" أن لا يتدخـــل في أمر كيف ما كان ، ما دمنا في ضيافتهم [1].

طلبه للعلم خارج الوطن :

ثم توجه الشيخ إلى المغرب الأقصى ناحية "بني زناسن"مع رفيق لـــه يدعى أحمد بن الحبيب بكار المعسكري الغريسي من أولاد سيدي أحمد بـــن

علي المشهورين بالعلم ، وهناك تلقى العوم الشرعية واللغوية مـــدة أربـــع سنوات على نفقة باشا "تسولي " وفي منزله بعدما جلب له عالما من أخـــير علماء القرويين بفاس — المغرب - .

شيوخه داخل الوطن :

قرأ على العديد من مشايخ حفظة القرآن الكريم في صغره أمثال :

- الفقيه السيد المختار بوعناني (بني خلاد) .

- الشيخ لخضر الخبشي (سواحل ناحية الغزوات).

ثم بعد رجوعه من المغرب قرأ على :

- الشيخ شعيب بن علي قاضي لجماعة تلمسان .

- الشيخ محمد الحرشاوي الندرومي بمدينة تلمسان .

- الشيخ بن يلس (ألفية ابن مالك) بمدينة تلمسان .

- الشيخ قدور بن سليمان بمستغانم .

وأجازه الشيخ شعيب بن علي قاضي تلمسان بأبيات شعرية :ومنـــها هذان البيتان :

أبا عبد الله يابن عبد القـــادر وقال إله العرش أسباب ذي الفتن .

وما زلت ترقى والعناية سرمدا نلاحظـــكم بأعين ما لها مهيـــمن

كما أجاز الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي نفسه بعـــض أكـــابر علمـــاء تلمسان وغيرهم في أبيات شعرية لأم نصل إليها .

تـــلاميذه :

إن تلاميذ الشيخ كثيرون ولا يمكن حصرهم ،ومن بينهم:

- الشيخ أمحمد بن داود .

- الشيخ الطيب المهاجي .
- الشيخ عليش .
- الشيخ عبد الله حاكيم النجاري .
- والعشرات من حفاظ القرآن الكريم من أنحاء الوطن كله ، ومن خـــارج الوطن .

الشيخ البوعبدلي المعلم والمربي

الشيخ المعلم :

بعد طلبه للعلم زار صديقه السيد أحمد بن الحبيب بمدينـــة معســـكر رفيقه في الدراسة بالمغرب ، وكان هذا الأخير قد رجـــع قبلـــه إلى بلدتـــه معسكر واستقر بها ، فأكرمه بحضور جد غفير من أشـــراف أولاد ســـيدي أحمد بن علي الغريسيين ، وقد أشاروا على الشيخ البوعبدلي أن يذهـــب إلى أرض"الغرابة" بناحية "سيرات" لمحبة أهل هذه الناحية للقرآن العظيم ولأهلـه ، ولرغبتهم في البحث عن معلم لتعليم القرآن والديـــن ، فعمـــل الشـــيخ بنصيحتهم وذهب إلى قرية "المناصرية" فاستقر بها ليؤسس أول نواة لتعليـــم القرآن ومبادئ بعض العلوم الشرعية والعلمية .

ثم زوجه أهل القرية بإحدى بناتها ، لما علموا فيه من خصال حميـــدة ، كالعفة والخير والصلاح والتفاني في تعليم النشء وحبه للخير ، بالإضافـة إلى نسبه الشريف .

الاستقرار ببلدة "بطيوة" : ثم انتقل بعدما قضى مدة هناك إلى قرية "بطيـوة" في نواحي أزيو ، حوالي سنة 1903م ، فأسس فيها مدرسة لتعليم القـــرآن الكريم ، وتجويده ، ونشر العلم .

لقد تخرج على يديه كثير من حملة كتاب الله ، وانتفع طلبـــة العلـــم في أنحاء الوطن ، سواء بالقراءة عليه أم بالمراسلات التي كانوا يبعثونها إليـــه في قضايا دينية ، وأدبية ، ولغوية بصفة عامة ، أم بالأسئلة الشفوية [2]

الشيخ المربي

الحديث عن التربية وبخاصة ما يتعلق بالشيخ البوعبدلي لا ينتـــهي ، ولا يمكن الإحاطة به ، سواء ما تعلق بأبنائه أم بالطلبة عموما ، أم بأتباع الطريق أم ممن كاتبهم ، أم من سافر معهم ، أم من التقى بهم ولو مرة واحـــدة ، أم من قرأ له ، أم ممن عاشوا معه طيلة حياته ، كل هؤلاء وغـــيرهم ألا وأثـــر فيهم على حسب استعداد الفرد .

إن الشيخ أبا عبد الله قد حباه الله بصفة المربي ، لا نعثر على مثلـــه إلا عند القلة القليلة في عصره إن وجدوا . فلقد تصدى الشيخ للتربيـــة طـــول حياته في الزاوية وخارجها ، عند الأحباب ، وفي حله وترحاله ، في كتاباته، فهو لا ينفك عن التربية منذ أن صار معلم الصبيان ، في الكتاتيب القرآنيـــة إلى أن لقي ربه . وعندما كوّن زاويته المشـــهورة باسمـــه (البوعبدليـــة)في "بطيوة" تضاعفت مهمة التربية ، ذلك لأنه كان :

-أ-يربي الطلبة من وجهتين:الأولى: حفظ القرآن الكريم.والثانية : تعليمـــهم أمور دينهم ، ودنياهم .

-ب- تربية أتباع الطريقة ، سواء داخل الزاوية ، أم في الزيارات التي كـــان يقوم بها في المدن والقرى، والمداشر ، وفي جميع المناسبات ، دينية وغيرها .

-ج-تربية أسرته، وأتباع الطريقة ،والأحباب والأصدقاء ، سواء مشافهة ،أم مراسلة.

-د- تربية الأمة قاطبة ، في أشعاره وفي كتبه المختلفة .

-هـــ- تربية الأفراد والجماعات عند الفصل في الخصومات والخلافات .

إننا ما قرأنا إنتاجا للشيخ أبي عبد الله البوعبدلي إلا ونعثر على التربيـــة في المقام الأول في كل الموضوعات ، مهما اختلفت مشاربها ، فالتربيـــة هـــي البداية وهي النهاية .

لقد عثرنا على شهادات بخط يديه — رحمه الله- تدعم ما قدمناه سلفا ، وفي الوقت نفسه تبين لنا مهمة هذا المربي العظيم ، وما كان يقوم بـــه ، ولا نبالغ إذا قلنا :إن جميع رسائل الشيخ إلا وفيها حيز هام من الوعظ والإرشاد سواء كتبه للخاصة ، أم للعامة ، أم لأقرب الأقارب ، والأسئلة في الموضـــوع كثيرة جدا ، ومتفاوتة الجوانب .

لقد لاحظنا في وعظه وإرشاده أن يختار لهذه المهمة الكلمـــات المناســـبة للمقام ، وللشخصية التي التي يخاطبها ، ولكثرة ما جاء في الموضوع فإننـــا نقتصر على :

- "واصل الطهارة ما استطعت" ، رسالة للشيخ عليش [3].

- "عليك بتقوى الله ما استطعت" [4].

نظرته في تربية النشء

إن الشيخ أبا عبد الله ما فتئ يهتم بالتربية ، وبخاصـــة تربيـــة النـــشء ويقترح في الموضوع مايأتي :

- أولا: الاعتناء بحفظ القرآن الكريم حفظ تلاوة .

- ثانيا : أن يكون التلميذ زمن اشتغاله بحفظ القرآن آخذا من :

- علوم العربية .

- شيء من الفقه ، بقدر ما يؤدي به الواجبات .

- شيء من العقائد الإيمانية ، بقدر ما في صفحة ذهنه ، ذلك بقـــدر مـــا يناسب طوره الصبياني ، بحيث يتجنب به من إقامة البراهين ، ما يعسر عنـــه إدراكه بغير واسطة شبهة ، لا يؤمن أن تعلق بذهنه .

- ويكون ذلك بأساليب منها تيسير الحفظ في مدة قصيرة وتسهيل الإدراك.

-ولاينبغي أن نجاري ما يقال:إن الاشتغال بحفظ القرآن...مبطـــئ بتقـــدم الأمة...

والواجب أننا لا يعني أن نكون كل مفرد مخصص في العلوم ، وإنمـــا الغاية المرجوة إزالة هياج الأمية ، أو تقليلها تقليلا يصيرها لا تظهر ، وانظر إلى الأندلس زمن ازدهارهم ، ومصر ، والعراق ، وغيرها . فإن كل عـــالم منهم كان يحفظ القرآن بجل أو كل وجوه القراءات ، مـــع نحـــو المونـــة ، وكتاب سيبويه ، إلى غير ذلك .

فهذا كلام ، وإن كان عليه بحسب ظاهره برهان من نفسه ، إلا أنه في الحقيقة محو لمميزات الأمة ، أمة إسلامية ، وتجريدا لهـــا مـــن شـــرفها الإسلامي ، فإن ألأمة في الوقت ملحوظة بعيون تـــتربص بهـــا الدوائـــر ، وتترقب منها الفرص مبثوث لها ممن يحاول القضاء عليها خصوصا في دينـــها الذي يتراءى لهم هو حياتها ، ويخاف منه بعض انتشار لما هو عليه ...[5]

الشيخ الأستاذ :

إن للشيخ أبي عبد الله إسهامات لا تحصى في التدريس ، فقد ســـهر على تعليم أبنائه واحدا واحدا ، وتتبع ما يدرسونه عن قرب ، لقد حكى لنا الشيخ "عياض " حامل سر أبيه بأنه تعلم علم العروض على يد أبيه

-رحمه الله- وهو يجدد الوضوء قرب كل فريضة ، لأن الشيخ لم يكن لـــه الوقت الكافي لانشغاله بالتأليف ، وبقضايا المريدين والزوار .

أما تعليمه لغير أبنائه فله الأثر الملموس والمحمود عند القاصي والداني بدليل الأمثلة المختلفة التي اطلعنا عليها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- إن الشيخ عليش يرغب في التعلم على يد الشيخ البوعبـــدلي في الزاويـــة البوعبدلية ، وهو ما صادفناه في رسالة الشيخ البوعبدلي يجيب الشيخ عليـــش على هذه الرغبة قائلا :" جاء مكتوب آخر من سيادتكم [الضمير يعود على السيد عليش بن السيد الحاج بن خليل]ومفادهما معا سؤالكم عن أحـــوال التدريس لدينا راغبين أن تشرفونا بمعاشرتكم "[6].

ونجده في رسالة أخرى يعبر عن هذه الرغبة قائلا : " وأما ســؤالكم على القراءة في الفقه وغيره فذلك -إن شاء الله -بحسب مـــا ، أعاننـــا الله وإياكم "[7].

وفي رسالة أخرى كتبها للشيخ عليش في الموضوع نفسه يقول فيـــها : "وشرعت في التدريس كما رأيت "[8].

نصيحته للعلماء

إن الشيخ من العلماء العاملين النصوحين ، وبخاصة إذا تعلق الأمـــر بقضية لا يخوض فيها إلا ذوو الاختصاص ، ذلك أنه عندما رد على سؤال : "ماذا تعبد ؟ هل تعبد الذات أو الصفات ؟ " نصح صاحبه بأن مثـــل هـــذا السؤال لا يطرح على العامة قط ، لتعلقه بعلم العقـــائد ، وهـــو علـــم لا يتحدث فيه إلا أهله ، بدليل نص الشيخ :" واعلم أنه لا ينبغي لفـــاضل أن يلقي إلى العامة أسئلة المعاينة ، خصوصا إن كان موضوعها علـــم العقـــائد

كهذه [يشير إلى ما تعبد ،هـــل الـــذات أو الصفـــات؟]الصعوبـــة مصادرها ، إلا أن يكون على وجه حسن من وجوه ، بأن يكون المســؤول مظنة العلم بها فيسأله ليستفيد ، أو ليكون السائل عالما بالمسألة ، قادرا على إيصالها لذهن المسؤول بحسن التعبير ، وتنويع التصوير ، حتى تتمكـــن مـــن ذهن المسؤول وتحصل صورتها في النفس ، أو تبعثه على تتبعها وإن عند غير السائل ، أو يكون بين السائل والمسؤول مؤانسة وائتلاف يعلم منه أنه يأنس بسؤاله ويرتاح له لما فيه من شحذ الأذهان ، وطلب انصقالها ، فأن كـــان السؤال على وجه من الوجوه الثلاثة ، وما شاكلها فإنه حسن يثاب عليـــه لحسن المقصد ويعرف ذلك بالقرائن .

أما إن كان المراد به تجهيل المسؤول والتشويش عليه وتحييره كمـــا هو دأب الجهال أهل المماراة المسولة لهم أنفسهم أن ذلك هو ثمرة العلم فـهو حرام تجب المبادرة إلى التوبة منه ، فليتق الله فاعله ، والمؤمن اللين هو علـــى ما ينفعه في معاده أحرص ، ولا شيء أنفع من التواضع ، وعدم الرضى عـــن النفس "[9].

الشيخ الفقيه

لقد اشتهر الشيخ بفتواه المختلفة بين العلماء ، فلا غرو أن تنـــهال عليه الأسئلة من أنحاء الوطن ، ومن مختلف طبقات الأمة عالمها و فقيهـــها وغنيها و فقيرها .

هذه الأسئلة كانت تتقاطر عليه ويتقبلها -بصدر رحب - بدليـــل أن إجابته قد تبلغ رسالة كاملة، أي : صفحـــات وصفحـــات في المســألة الواحدة .إن المطلع على إجابات أبي عبد الله الفقيه ليندهش ، لما يجد فيـــها

من تدقيق وتبسيط لها في الوقت نفسه والاطلاع الواسع على المراجع التي لها صلة بالمسألة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن فتاوى الشيخ لا يمكن حصرها في هـــذه العجالة ، وإنما تحتاج إلى مؤلّف مستقل خاص ، ونحن—بحول الله —نســـعى لجمعها في كتيب.

وإننا عثرنا في خزانة الشيخ امحمد بن داود على بعض ما جـــاء في الموضوع ، نقدمه للقارئ الكريم ملخصا على النحو الآتي :

01- مرور اليد على الوجه عند الصلاة على النبي [10]

02- شرح قول العلامة أبي الضياء خليل في قسمة التركة من مختصره [11].

03- إن إنسانا مات عن بنتين وأخت وابن أخت ، ما معـــنى هـــذا القول ؟[12].

04- دفع الزكاة لبناء المساجد، ولتعليم الصبيان [13],

05- ما حكم الهدية شرعا ؟ [14].

06- ما حكم الكتابة على القبور ؟ [15].

07- قضية إمامة "بطيوة" ، ورأي العلماء في الموضوع [16].

08- حكم الشرع في الانتخاب ، والنائب ، والمجلس النيـــابي ، وورقـــة الانتخاب [17].

الشيخ القاضي

إن الشيخ البوعبدلي طبق حدود الله بين الخصمين ، أو المتخـــاصمين ولم يصدر حكما إلا بعد السماع من الخصمين ، ولم يسمع من أحد أنـــه لم يرض بما قضى به الشيخ ، والسر في ذلك أنه يطبق الكتاب والســـنة في الموضوع .

إن القضاء الذي كان يقوم به الشيخ طيلة حياته ، والوفـــود الـــتي كانت تقصده من أجل ذلك ، قد جلب أنظار الاستعمار الفرنســـي إليـــه وضايقوه وذلك أن القضاء من أهم القضايا التي لها علاقـــة بكـــل أفـــراد الشعب ، لهذا أراد الاستعمار أن يبعده عن موضوع القضاء ، إلا أن الشـــيخ البوعبدلي استطاع أن يجلب إليه كل من له قضية لها صلة بالدين ، أو الدنيـــا ليفصل فيها على الرغم من كيد الاتسعمار إلى أن لقي ربه .

و لم يقتصر قضاء الشيخ بين الناس وتطبيقه للشريعة الإســـلامية في مقر سكناه ، ودخل الزاوية في قرية "بطيوة" ، بل إننا نجده يحكم بين الناس في حله وترحاله ، ومن خلال إجابته عن الأسئلة التي تتوافد عليه من داخـــل الوطن وخارجه .

وأخيرا إننا حاولنا أن نقدم —في هذه العجالة —صورة مضيئة مـــن حياة الشيخ أبي عبدالله البوعبدلي ، الذي قضى حياته في خدمة العلم والتربية من أجل إصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به أيام الاستعمار الفرنسي ، بـــل إن هذه الصفحات القليلة لا تفي بالغرض المنشود في حق هذا الرجل العـــالم المصلح .

الهوامش

1 ـ يراجع : الرسالة رقم :87.

2 ـ يراجع :في هذا الشأن ما جمعناه عن في الموضوع تحت عنوان (الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي لغويا) ونتمنى أن يرى هذا الكتيب النور عن قريب .

3 ـ يراجع : الرسالة رقم :11.

4 ـ الرسالة رقم :26.

5 ـ الرسالة رقم : 75.

6 ـ الرسالة رقم :1 .

7 ـ الرسالة رقم : 34 .

8 ـ الرسالة رقم : 30.

9 ـ الرسالة رقم : 23.

10 ـ الرسالة رقم : 9.بعثها إلى الشيخ عليش ، بدون تاريخ .

11 ـ الرسالة رقم :15.بعثها لسيدي أبي زيان بن محمد الصبيحي سنة 1334هـ.

12 ـ الرسالة رقم :19. بعثها لسيدي أحمد بن طاهر .

13 ـ الرسالة رقم : 23 . بعثها إلى السيد محمد بن المختار النجالي ، سنة :24/أكتوبر/1918م .

14 ـ ـ الرسالة رقم :29 . بعثها إلى الشيخ عليش ، بدون تاريخ.

15 ـ الرسالة رقم : 40. بعثها إلى السيد : قادة بن عمروش ،وإلى السيد: محمد بن الحبيب ، سنة :1344هـ .

16 ـ الرسالة رقم : 59 .

17 ـ الرسالة رقم : 90 .

Bibliographie

1- AMRANI, (Slimane), 1985, La fonction de sujet, Thèse de doctorat 3° cycle, Université de Provence, Centre d'Aix-en-Provence, Aix-en-Provence, France.

2- CHOMSKY, (Noam), 1971, Aspect de la théorie syntaxique, Traduction de Jean-Claude MILNER, Edition du Seuil, Paris, France.

3- DEBBACHE, (Abdelhamid), 1992, Le prédicat syntaxique en arabe, Thèse de doctorat nouveau régime, Université de Provence, Centre d'Aix-en Provence, Aix-en-Provence, France.

4- DUBOIS, (Jean) et DUBOIS-CHARLIER, (Françoise), 1970, Eléments de linguistique française: syntaxe, Librairie Larousse, Paris, France.

5- FRANÇOIS, (Frédéric), 1984, L'enseignement et la diversité des grammaires, Hachette, Paris, France.

6- GLEASON, (H.A.), 1969, Introduction à la linguistique, Traduction de Françoise DUBOIS-CHARLIER, Librairie Larousse, Paris, France.

7- JESPERSEN, (Otto), 1971, La syntaxe analytique, Traduction d'Anne-Marie LEONARD, Paris.

8- LYONS, (John), 1970, Linguistique générale: introduction à la linguistique théorique, Traduction de Françoise DUBOIS-CHARLIER et David ROBINSON, Larousse, Paris, France.

9- MAHMOUDIAN, (Mortéza), (Sous la direction de -), 1976, Pour enseigner le français, PUF, Paris, France.

10- MARTINET, (André), 1980, Eléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris, France.

11- ROSSI, (Mario), 1977, L'intonation et la troisième articulation, in BSL, 72/1, Klincksieck, Paris, France.

12- ROSSI, (Mario), 1981, L'intonation: de l'acoustique à la sémantique, klincksieck, Paris, France.

13- TOURATIER, (Christian), 1975,Technique d'analyse de la phrase latine, in Dossier d'études pour l'enseignement du latin, N°4, Institut national de recherche et de documentation pédagogique, Strasbourg.

14- TOURATIER, (Christian), 1977, Comment définir les fonctions syntaxiques, in BSL, 72/1, Klincksieck, Paris, France.

15- TOURATIER, (Christian), 1985, Le prédicat comme fonction syntaxique, in Cercle linguistique d'Aix-en-Provence, Travaux 3, Aix-en-Provence, France.